منطق التأريخ في حادثة الإسراء والمعراج وعلاقته بالعقائد والأطر المعرفية الصرفة

أ.د/ حميد سراج جابر /أستاذ الفكر الإسلامي /العراق/ جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الانسانية

المقدمة

ترتبط الأحداث التاريخية بتجاهات وعلوم أخرى قد يرى بعضهم إنها بعيدة كل البعد عنها بداعي التخصص وما شاكل ذلك ، غير إن المنطق يثبت عكس ذلك فالعلوم متداخلة جدا" ، إذ لا يمكن إن نعزل العلوم الإنسانية عن العلوم الصرفة اذا ما أردنا أن ننهض بالبحث العلمي والإنساني.

ومن هنا ارتأينا أن ندرس العلاقة بين منطق الطرح التاريخي لحادثة الإسراء والمعراج وعلاقتها بالعقائد والأطر المعرفية الصرفة ، فهناك انعكاسات وإيحاءات واضحة لتلك الحادثة في الإثباتات العقائدية وفي الطروحات العلمية الصرفة بكل اشكالها سواء البايولوجية أو الفيزياوية او التكنولوجيه عموما" ، وهو الأمر الذي حاولنا إيضاحه وبيان حيثياته.

ومن هذه الأساسيات العقائدية الاستدلال على البعث والإحياء يوم القيامة وهذا الامر ليس بالاعتماد على ما رأه الرسول صلى الله عليه واله وسلم فقط وإنما بأسلوب المعراج،فضلا" عن المفهوم الإعجازي المقنع لبعض الفئات التي تتعامل مع الرسول صلى الله عليه واله وسلم وفق منطق المقارنة مع معجزات الانبياء ، هذا الى جانب اثبات قدرة الله تعالى فالآية القرآنية (سبحان الذي اسرى ....) تشير الى هذه القدرة بالأساس ، وكذلك الاستدلال على صدق النبوة ومصدريتها وهي رد على القائلين بأن الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم هو من جاء بالقرآن وليس من الله تعالى، لا سيما وان تكملة الآية الكريمة تدلل على عبودية الرسول صلى الله عليه واله وسلم لله تعالى (سبحان الذي اسرى بعبده ...).

اما بالنسبة لدراسة هذه الحادثة من حيث علاقتها بالأطر المعرفية الصرفة فهي ضربة للعلوم الغربية وعجزها عن الاتيان بما أكتنفه الحادثة من صور علمية اذ ان امر الاسراء والمعراج لا يعني في اعجازه انه خارج عن النواميس وإنما يؤكد عجز علوم العصر عن الوصول اليه وكذلك ابراز ثقافة المنطق العلمي في الاسلام والتي تعد مغيبة ، والتأكيد في التعليم العالي على ما وراء النص والحادثة ، وبشكل بعيد عن السطحية ، فهذه العلاقة التاريخية مع العلوم الصرفة تفتح الباب امام جميع الباحثين في الجامعات وفي جميع الاختصاصات بدراسة الكيفية العلمية للإسراء والمعراج بدل دراستها من الغرب الرافضين للإعجاز ودعوة المعنيين في المناهج على اضافة حادثة الاسراء والمعراج بشكل رسمي لمناهج اقسام التاريخ ولمناهج ارباب الفيزياء والجغرافية والهندسة على حد سواء.

وعلى العموم فأن الدراسة قدمت نماذج كثيرة وواضحة لتلك العلاقة وذلك الانعكاس ولعل الاطلاع عليها بشكل كامل يزيد الصورة وضوحا".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أولا"

الإطار التاريخي للإسراء والمعراج ومعطياته الفكرية

من المعلوم إن حادثة الإسراء والمعراج مثلّت انعطافة مهمة وفق المنطق التأريخي لأنها جمعت الكثير من المعطيات التي قد لا نجدها في الحوادث الأخرى فهي ذات إطار تأريخي لا يخلو من المعطى العقائدي والعلمي والفلسفي وإيحاءات أخرى تخرج عن نطاق التأريخ لتمثل العلاقة المعنوية البناءة معه ، وهي المعطيات التي سندرسها في مباحث هذه الدراسة بعد أن ننطلق من الإطار التأريخي للحادثة وفلسفتها السببية والنقاش الدائر حولها.

لقد ذكر القرآن الكريم هذه الحادثة وبين ملامحها الرئيسة بقوله تعالى " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير [١] والمراد بقوله أسرى بعبده أي جعل البراق يسري به كما يقال أمضيت كذا أي جعلته يمضي [٢] إذ أسري برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم منه إلى السماء . [٣]

وربما نجد استهزاء المشركين بهذا الخبر حينما أخبرهم الرسول صلى الله عليه واله وسلم ، فقد ورد عنه صلى الله عليه واله وسلم القول أنه ليلة أسري به وأصبح بمكة مر به أبو جهل فقال هل كان من شيء قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم (اني أسري بي الليلة إلى بيت المقدس ، قال(ابو جهل) ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم قال فان دعوت قومك أتحدثهم بذلك قال نعم قال يا معشر بني كعب بن لؤي قال فانفضت إليه المجالس حتى جاءوا إليهم فقال حدث قومك بما حدثتني فحدثتهم قال فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا ...) [٤] فوصف لهم الرسول صلى الله عليه واله وسلم البراق وسيلة تنقله وهو دابة فوق الحمار ودون البغل وكان معه جبرائيل عليه السلام وكيف مرّ بمناطق وأقوام يعرفونها كدليل على قوله وقد ذكر لهم بعض الاحداث التي تثبتوا منها فيما بعد ونقل لهم ما حدث بعد ذلك من تقل في السماء ولقاء بالأنبياء عليهم السلام. [٥]

وقد اختلف السلف في الاسراء والمعراج هل وقعا في ليلة واحدة وإليه ذهب الجمهور من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواترت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة. [٦] وكان ذلك بمكة : صلى الرسول صلى الله عليه واله وسلم المغرب في المسجد ثم أسري به في ليلته ، ثم رجع فصلى الصبح في المسجد الحرام ، فأما الموضع الذي أسري إليه فلقد كان إلى بيت المقدس ، وقد نطق به القرآن [٧] وقال بعضهم : كان الاسراء في ليلة

---

[١] الإسراء ١

[٢] ابن حجر ، فتح الباري - ج ٧ - ص ١٥٢.

[٣] ابن عبد البر ، الدرر ص ٦٥.

[٤] ابن حجر ، فتح الباري - ج ٧ - ص ١٥٣.

[٥] ابن حجر ، فتح الباري - ج ٧ - ص ١٥٣.

[٦] الذهبي ، تاريخ الإسلام ج ١ - ص ٢٧١ ، الحطاب الرعيني ، مواهب الجليل - ج ٢ - ص ٧ .

[٧] الذهبي ، تاريخ الإسلام ج ١ - ص ٢٧٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمعراج في ليلة والمراد بالإسراء الذهاب إلى بيت المقدس وبالمعراج العروج إلى السماء .

وقد اجمع العلماء على حدوث الاسراء والمعراج قبل الهجرة مع اختلاف بسيط في التحديد المباشر فقيل قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل قبل الهجرة بخمس سنين [٩] ويقول ابن حجر إن استناد اصحاب هذه الاراء جاء على اساس فرض الصلاة الذي اختلف فيه غير انه أي ابن حجر علق على ذلك بأن فرض الصلاة اختلف فيه فقيل كان من أول البعثة وكان ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي وانما الذي فرض ليلة الاسراء الصلوات الخمس .[١٠]

المنطق العقلي في اثبات الإطار التاريخي

لقد اتفق اغلب العلماء على أن الرسول صلى الله عليه واله وسلم أسري ببدنه وروحه يقظة لا منامًا ولا ينكرون أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل ذلك منام ثم راه بعده يقظة لأنه كان عليه السلام لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[١١]

وهذا ما يفسر لنا عدم تصديق الناس للحادثة وهو ما جسده القرآن الكريم كما قال الله تعالى : (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس)[١٢] أي اختبارا لهم وامتحانا . قال ابن عباس : هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مذهب جمهور السلف والخلف من الاسراء كان ببدنه وروحه صلوات الله وسلامه عليه كما دل على ذلك ظاهر السياقات من ركوبه وصعوده في المعراج وغير ذلك . ولهذا قال سبحانه وتعالى :(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله [١٣])[١٤].

والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة فدل على انه بالروح والجسد والعبد عبارة عنهما . وأيضا فلو كان منامًا لما بادر كفار قريش إلى التكذيب به والاستبعاد له إذ ليس في ذلك كبير أمر ، فدل على أنه أخبرهم بأنه أسري به يقظة لا منامًا .[١٥]

وقد رد العلماء عن ما ورد من قول عن السيدة عائشة أم المؤمنين (ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسرى بروحه)[١٦] . وجاءت الردود باتجاهين :

أولا[١٧] : إن قول السيدة عائشة : ما فقد جسده ، لم يحدث عن مشاهدة لأنها لم تكن حينئذ زوجة ولا في سن من يضبط ، ولعلها لم تكن ولدت ، فإذا كان كذلك تكون قد حدثت بذلك عن غيرها ، فلا يرجح خبرها على خبر غيرها[١٧]

---

[٩] القسطلاني المرعشي ، مواهب اللطيف = ج ٢ - ص ٢ .
[١٠] ابن حجر ، فتح الباري = ج ٧ - ص ١٥٤ .
[١١] ابن حجر ، فتح الباري = ج ٧ - ص ١٥٤ .
[١٢] ابن كثير ، تفسير ابن كثير ج ٣ - ص ٢٥ ، وينظر الشنقيطي ، أضواء البيان ج ٣ - ص ١٦٥ .
[١٣] الإسراء : ٦٠
[١٤] الإسراء : ١
[١٥] ابن كثير ، البداية والنهاية ج ٣ - ص ١٤٠ . وينظر العيني ، عمدة القاري ج ٢٥ - ص ١٧١ ، الشنقيطي ، أضواء البيان ج ٣ - ص ١٦٦ .
[١٦] ابن كثير ، البداية والنهاية ج ٣ - ص ١٤٠ . وينظر الشنقيطي ، أضواء البيان ج ٣ - ص ١٦٦ .
[١٧] ابن كثير ، تفسير ابن كثير ج ٣ - ص ٢٥ ، وينظر الشنقيطي ، أضواء البيان ج ٣ - ص ١٦٦ .
[١٨] العيني ، عمدة القاري ج ١٥ - ص ١٢٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا": حاول بعضهم ان يخرّج هذا الكلام بالقول أنه بقضان وبقي في فراشه عندما اسري بروحه واعر ج بها أي أن الاسراء قد يكون وقع بروحه حقيقة وهو يقظان لا نائم وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السماوات وعاين ما عاين حقيقة ويقظة لا مناما . ولعل هذا مراد السيدة عائشة أم المؤمنين ، ومراد من تابعها على ذلك . لا ما فهم من أنهم أرادوا بذلك المنام .[١٨] وقد أردف ابن كثير القول منبها"(ونحن لا ننكر وقوع منام قبل الاسراء طبق ما وقع بعد ذلك ، فإنه صلى الله عليه وسلم كان لا يرى)[١٩]

وعلى العموم فأن هذه النقطة لا تخرج عن الإطار العام برفض القول بعدم وجود الاسراء والمعراج المادي وإنما تؤكد من احدى جهاتها إن الاسراء والمعراج تم بجسد وروح النبي صلى الله عليه واله وسلم.

غير إن أبرز النقاشات والطروحات العلمية ما جاء به الرازي في تفسيره وقد اسماها الادلة العقلية على الاسراء والمعراج الجسماني والروحي فقد ربط ذلك بجملة أمور أهمها أنه إذا كان القول بمعراج محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في الليلة الواحدة ممتنعا في العقول كان القول بنزول جبرائيل (عليه السلام) من العرش إلى مكة في اللحظة الواحدة ممتنعا ، ولو حكمنا بهذا الامتناع كان طعنا في نبوة جميع الأنبياء عليهم السلام والقول بثبوت المعراج فرع على تسليم جواز أصل النبوة .[٢٠] وهو الأمر الذي لا يستطيع أحد إنكاره لإنه من المسلمات الأكيدة فالمعراج هنا يمثل جزء من كل فالإطار العام مسلم به والمفروض إن الجزء من هذا الإطار مسلم به أيضا".

كما أن الرازي أجرى مقاربة بين وجود إبليس وإثبات المعراج اذ أشار الى ان أكثر أرباب الملل والنحل يسلمون وجود إبليس ويسلمون أنه هو الذي يتولى إلقاء الوسوسة في قلوب بني آدم ، فلما سلموا جواز مثل هذه الحركة السريعة في حق إبليس فالمفروض أن يسلموا جوازها في حق أكابر الأنبياء وكان ذلك أولى .[٢١] ويبدو أن الرازي ينطلق من باب إلزام المقابل بالاعتقادات التي يعتقد بها ومن باب ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم.

وقد أنسحب هذا الأسلوب على المقارنة مع خصوصية نبي الله سليمان عليه السلام فقد جاء في القرآن أن الرياح كانت تسير بسليمان (عليه السلام) إلى المواضع البعيدة في الأوقات القليلة ، بل الحس يدل على أن الرياح تنتقل عند شدة هبوبها من مكان إلى مكان في غاية البعد في اللحظة الواحدة وذلك أيضا يدل على أن مثل هذه الحركة السريعة في نفسها ممكنة .[٢٢] وكذلك فأن ما دل عليه القرآن من إحضار عرش بلقيس من أقصى اليمن إلى أقصى الشام في مقدار لمح البصر يدل على جواز ذلك .[٢٣]

وقد أورد الرازي دليلا" علميا" يتعلق بالإبصار الا أنه دليل لا يقوم بعد التطور العلمي الحديث فهو يرى أن من الناس من يقول : إن الحيوان إنما يبصر المبصرات بخروج الشعاع من البصر واتصالها بالمبصر ، فعلى قول هؤلاء انتقل شعاع العين من

---

[١٨] ابن كثير ، البداية والنهاية ج ٣ - ص ١٤١.
[١٩] البداية والنهاية ج ٣ - ص ١٤١.
[٢٠] التفسير ج ٢٠ -ص١٤٩.
[٢١] التفسير ج ٢٠-ص١٤٩.
[٢٢] الرازي ، التفسير ج ٢٠-ص١٤٩.
[٢٣] الرازي ، التفسير ج ٢٠-ص١٤٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أبصارنا إلى رَجل في تلك اللحظة اللطيفة ، وذلك يدل على أن الحركة الواقعة على هذا الحد من السرعة من الممكنات ، لا من الممتنعات .[٢٤] ووجه اعتراضنا على هذا الأمر أن العلم الحديث أثبت أن الإبصار يتم بالضوء الساقط على العين وليس الخارج منها وهو ما يسمى بالانعكاس وهو من البديهيات العلمية.

غير أن المحصلة النهائية لهذا الطرح تثبت عدم امتناع ما حصل للرسول صلى الله عليه واله وسلم من الناحية العقلية فما دامت هذه الحركة ممكنة الوجود في نفسها وجب أن لا يكون حصولها في جسد محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ممتنعا ، لأن الأجسام متماثلة في تمام ماهيتها ، فلما صح حصول مثل هذه الحركة في حق بعض الأجسام وجب إمكان حصولها في سائر الأجسام ، فيلزم من مجموع هذه المقدمات أن القول بثبوت هذا المعراج أمر ممكن الوجود في نفسه ، أقصى ما في الباب أنه يبقى التعجب إلا أن هذا التعجب غير مخصوص بهذا المقام ، بل هو حاصل في جميع المعجزات ، فانقلاب العصا ثعبانا ، ثم تعود في الحال عصا صغيرة كما كانت أمر عجيب ، وكذا سائر المعجزات .[٢٥]

ولم يذكر المعراج في القرآن صراحة ، كما كان الحال بالنسبة إلى الاسراء وربما يكون السر في ذلك هو ان الاسراء أمر قريب إلى الحس ، فالتصديق به يكون أيسر وأقرب ،وإذا كانوا قد صعب عليهم التصديق بالإسراء ، بلَ واستهزأو وشنعوا عليه " صلى الله عليه وآله وسلم " لذلك فقد تدرج في اخباره لهم بالإسراء والمعراج ، فأخبرهم أولا بالإسراء ، أما المعراج ؟ فأخبر به أولياءه المؤمنين القادرين على التحمل ، والتعقل . ثم صار يتوسع في اخباره لغيرهم بذلك في الأوقات المناسبة ، وبحسب ما تقتضيه المصلحة ، ومتطلبات الدعوة إلى الله تعالى ، فهو داعية حكيم لذلك من الطبيعي أن يهتم بالركيزة الايمانية وأن لا يدخلها في أجواء ليس لها القدرة على استيعابها ولا على مواجهة أخطار الانحراف فيها.[٢٦] .

الفلسفة السببية للإسراء والمعراج

ليس هناك من شك أن حادثة الإسراء والمعراج كما هي الحوادث الاخرى لها فلسفة وأهداف قد لا يعيها الكثير وذلك لأنها غير ظاهرية ولعل الفكرة الأساس في الموضوع هي بيان مقام الرسول صلى الله عليه واله وسلم لا سيما وإن الجانب الإعجازي يمس الوتر الذي يحرك معظم عقليات الناس آنذاك إذ إن الإيمان لم يكن قد تعمق في نفوسهم بعد مما يعني إن هذه الحادثة ربما تتلاءم مع ما يفكر به ويطلبه هؤلاء اصحاب العقليات المادية.

فإذا كان مقام العبودية هو أسمى مقام يبلغه الإنسان في حياته ، فإن آية الإسراء قد كرمت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بإطلاق وصف العبودية عليه ، فقالت " عبده " للدلالة على مراقي الطاعة والعبودية التي قطعها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لله تبارك وتعالى حتى استحق شرف " الإسراء " حيث لم يسجد جبين رسول الله

---

[٢٤] التفسير ج ٢٠ـص١٤٩.
[٢٥] الرازي ، التفسير ج ٢٠ـص١٤٩.
[٢٦] السيد جعفر مرتضى ، الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) - ج ١ ـص ٢٦٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(صلى الله عليه وآله وسلم) لشئ سوى الله ، ولم يطع (صلى الله عليه وآله وسلم) ما عداه ، وقد بذل كل وسعه ، وخطا كل خطوة في سبيل مرضاته تعالى .[٢٧]

وقد ذكر الشيخ ناصر مكارم إن الهدف من هذا السفر الإعجازي أن يشاهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) آيات العظمة الإلهية ، وقد استمر سفر الإسراء إلى المعراج صعودا في السماوات لتحقيق هذا الغرض ، وهو أن تمتلئ روح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أكثر بدلائل العظمة الربانية ، وآيات الله في السماوات ، ولتجد روحه السامية في هذه الآيات زخما إضافيا يوظفه (صلى الله عليه وآله وسلم) في هداية الناس إلى رب السماوات والأرض !... وبالرغم من أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان عارفا بعظمة الله سبحانه ، وكان عارفا أيضا بعظمة خلقه ، ولكن " متى كان السماع كالرؤية ؟ ! " . ونقرأ في سورة (النجم) التي تلت سورة الإسراء وتحدثت عن المعراج قوله تعالى : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى [٢٨]).[٢٩]

كما إن إكرام الله لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمعجزة الإسراء والمعراج لم يكن أمرا عفويا عابرا ، بل هو بسبب استعدادات رسول الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم) وقابلياته العظيمة التي تجلت في أقواله وأفعاله ، هذه الأقوال والأفعال التي يعرفها الله ويحيط بها .[٣٠]

ولا ننسى إن الهدف المهم الثاني يتعلق ببيان فضل هذه المساجد التي ذكرها القرآن وبيان قداستها المعنوية والمادية فإن تعبير الآية (باركنا حوله)[٣١] تفيد بأنه علاوة على قدسية المسجد الأقصى ، فإن أطرافه أيضا تمتاز بالبركة والأفضلية على ما سواها . ويمكن أن يكون مراد الآية البركة الظاهرية المتمثلة بما تهبه هذه الأرض الخصبة الخضراء من مزايا العمران والأنهار والزراعة ،ويمكن أن تحمل البركة على قواعد الفهم المعنوي فتشير حين ذاك إلى ما تمثله هذه الأرض في طول التأريخ ، من كونها مركزا للنبوات الإلهية ، ومنطلقا لنور التوحيد ، وأرضا خصبة للدعوة إلى عبودية الله .[٣٢]

هذا فضلا" عن الاستدلال على تنزيه الله تبارك وتعالى من كل عيب ونقص.[٣٣] والإشارة إلى عظمة آيات الله بحيث أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - على علو مقامه واستعداده الكبير - لم ير من هذه الآيات خلال سفره الإعجازي سوى جزء معين منها .[٣٤]

---

[٢٧] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج ٨ - ص ٣٨٨.
[٢٨] النجم :١٨.
[٢٩] الشيخ ناصر مكارم ،الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - ج ٨ - ص ٣٩٠.
[٣٠] الشيخ ناصر مكارم ،الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - ج ٨ - ص ٣٩٠.
[٣١] الاسراء : ١.
[٣٢] الشيخ ناصر مكارم ،الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - ج ٨ - ص ٣٩٠.
[٣٣] الشيخ ناصر مكارم ،الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - ج ٨ - ص ٣٩٠.
[٣٤] الشيخ ناصر مكارم ،الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - ج ٨ - ص ٣٩٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا"

ايحاءات توجيه الحادثة بمدلولات فكرية اثباتية للعقائد والمفاهيم الدينية

قد لا يخفى على الباحثين أن ما طرحناه فيما سبق عن المنطق التأريخي وابعاده الفكرية يعد مقدمة وحافز للخوض في إيحاءات أخرى لم تأخذ طابع الكلاسيكية والصورة الظاهرية وإنما يمكن استنتاجها بالنظر لطبيعة الحادثة وما دار حولها ، ولعل من أهم تلك الإيحاءات ما يتعلق بتوجيه الحادثة بمدلولات فكرية إثباتية للعقائد والمفاهيم الدينية ، إذ أن التعمق الواعي في الاسراء والمعراج يضعنا في مواجهة تلك الإيحاءات والتي يمكن إجمالها بما يأتي:

الإيحاء الأول : -الاستدلال على البعث والإحياء يوم القيامة

أن ما حدث في الاسراء والمعراج وضعنا أمام صورة حية إثباتية لعقيدة مهمة كانت في حيز الاهداف المتوخاة من هذه الحادثة ونقصد بهذه العقيدة (البعث والإحياء) يوم القيامة فما جرى وما نقله الرسول صلى الله عليه واله وسلم يفصح عن نية لترسيخ تلك العقيدة والتذكير بها ، وهذا يدل على الحاجة المرحلية في ترسيخ العقائد لا سيما مع بداية الدعوة ليس بالاعتماد على ما رآه الرسول صلى الله عليه واله وسلم فقط وانما بأسلوب المعراج أيضا

والفكرة في الموضوع هي إظهار القدرة على البعث والإحياء بأسلوب يدعو الى المقارنة والاستدلال ، وربما نجد أن المفسرين دائما" ما يطرحون مثل هذه المقارنات والاستدلالات ، كقول الآلوسي بأن من قدر على خلق تلك الإجرام العظام لا يعجزه إعادة أجسام هي لا شيء بالنسبة إلى تلك الإجرام.[٣٥] أو كقول بعضهم أن البعث والإحياء في سرعة القدرة على الإتيان بهما كلمح البصر أو هو أقرب [٣٦] وهذا لا يخرج عن مقصدنا بالإيحاء في حادثة الاسراء والمعراج لإثبات تلك العقيدة والقدرة الالهية المطلقة.

الإيحاء الثاني : إثبات الامتداد النبوي وأفضلية الرسول ص

مثّلت حادثة الإسراء والمعراج إثباتا" منطقيا" للامتداد النبوي أو الامتداد في الرسالة السماوية ليس بما يتعلق بالالتقاء المادي بالأنبياء عليهم السلام فقط وإنما بالتشابه والتماثل في نوع الإعجاز من حيث المبدأ مع الفارق لصالح خاتم الانبياء والمرسلين صلى الله عليه واله وسلم

فالمفهوم الاعجازي المقنع لبعض الفئات التي تتعامل مع الرسول صلى الله عليه واله وفق منطق المقارنة مع معجزات الانبياء عليهم السلام قد ظهر بشكل واضح من خلال هذه الحادثة .

وقد شخّص العلماء ذلك التشابه في التعامل مع الانبياء عليهم السلام واعتبروه دليل عقلي على حدوث الاسراء والمعراج كما اسلفنا ، فقد جاء أن الرياح كانت تسير بسليمان (عليه السلام) إلى المواضع البعيدة في الأوقات القليلة.[٣٧]

---

[٣٥] تفسير الآلوسي - ج ٢٢ - ص ١١٢.

[٣٦] ابن أبي زمنين ، تفسير ابن زمنين - ج ٢ - ص ٤١٢ ، وينظر السمرقندي ، نفسير السمرقندي - ج ٢ - ص ٢٨٤.

[٣٧] الرازي ، التفسير ١٤٩/٢٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكذلك إحضار عرش بلقيس من أقصى اليمن إلى أقصى الشام في مقدار لمح البصر.[٣٨] بل هو حاصل في جميع معجزات الانبياء عليهم السلام.[٣٩]

وهذا ما يعني أن الحادثة كانت إثبات ذلك الامتداد والسنخية في معجزات الانبياء عليهم السلام مما يثبت أن الرسول صلى الله عليه واله وسلم ضمن ذلك الامتداد وله الأفضلية لكون الاسراء والمعراج قد تخطى وفاق كل المعجزات السابقة.

الإيحاء الثالث : إثبات مصدرية النبوة

وهو إيحاء مكمل للإيحاء السابق ونقصد هنا الاستدلال على صدق النبوة ومصدريتها وهي رد على القائلين بأن الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم هو من جاء بالقرآن وليس من الله تعالى، لا سيما وان اية سورة الاسراء الاولى الكريمة تدلل على عبودية الرسول صلى الله عليه واله لله تعالى (سبحان الذي اسرى بعبده ...).[٤٠]

وما سلف ذكره عن مقام العبودية المؤهل لحصول الرسول صلى الله عليه واله وسلم على أعلى المقامات يؤكد ذلك ، فإذا كان مقام العبودية هو أسمى مقام يبلغه الإنسان في حياته ، فإن آية الإسراء قد كرمت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باطلاق وصف العبودية عليه ، فقالت " عبده " للدلالة على مراقي الطاعة والعبودية التي قطعها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لله تبارك وتعالى حتى استحق شرف " الإسراء " حيث لم يسجد جبين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لشيء سوى الله ، ولم يطع (صلى الله عليه وآله وسلم) ما عداه ، وقد بذل كل وسعه ، وخطا كل خطوة في سبيل مرضاته تعالى .[٤١]

الإيحاء الرابع : إثبات القدرة الإلهية

وقد آثرنا تأخير هذا الإيحاء والإثبات لانه تحصيل حاصل ينطلق من كل الإثباتات السابقة وهو تحقيق لهدف وفلسفة اخرى من مقاصد الاسراء والمعراج الكثيرة وهو مخاطبة الناس على قدر عقولهم وإثبات قدرة الله تعالى فالآية القرآنية (سبحان الذي اسرى ....)[٤٢] تشير الى هذه القدرة بالأساس.

أن تتبع ردود الفعل تجاه خبر الاسراء والمعراج على المستوى الآني والبعيد يضعنا أمام حقيقة مهمة هي أن إثباته هو إثبات لقدرة الله تعالى ، وقد نقلت المصادر كيفية اخبار الرسول صلى الله عليه واله وسلم لقومه بالأمر ومستوى الاستيعاب لفكرة لا تتوافق مع طبيعة مقاييسهم البسيطة فشعروا بالفرق حينما وجدوا انفسهم أمام خالق هذا الكون والقادر والحكيم في صنعه.[٤٣]

وهناك إيحاءات أخرى يمكن الإشارة إليها بما يأتي:

١- ان الحادثة تمثل مصداق بارز للقواسم المشتركة بين كل المذاهب والأطراف الاسلامية فحق التأكيد عليها كأداة للتوحيد.

---

[٣٨] الرازي ، التفسير ١٤٩/٢٠.
[٣٩] الرازي ، التفسير ١٤٩/٢٠.
[٤٠] الاسراء : ١.
[٤١] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج ٨ - ص ٣٨٨.
[٤٢] الاسراء : ١.
[٤٣] ابن حجر ، فتح الباري - ج ٧ - ص ١٥٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- أن الحادثة أداة أقناع لأصحاب الشرائع الاخرى بأفضلية النبي صلى الله عليه واله وسلم وخاتميته على الانبياء عليهم اسلام سواء على من رفع الى السماء او على من القي في النار او على من افتدي من الذبح او من سلم من الغرق.
٣- أن الحادثة توحي بنتيجة حتمية للصراع اليهودي الاسلامي وهي سيادة الإسلام لاسيما وأن ما ذكر عن صلاته صلى الله عليه واله ومعراجه من المسجد الاقصى تدل على ذلك.

ثالثا"

إيحاءات توجيه الحادثة لخدمة الجامعات والمنطق العلمي

لم تخل حادثة الإسراء والمعراج من إيحاءات علمية صرفة تكاد تكون موجهة لخدمة البحث العلمي والنطاق الأكاديمي الذي تمثله الجامعات وغيرها من المؤسسات العلمية اليوم ، إذ إن بعض صور الحادثة جمعت بين أمرين:

الأمر الأول : التأكيد على الارتباط بين الجانب العلمي والديني والسير وفق النواميس الطبيعية والتي ربما لم يصل اليها العلم اليوم فلا يعني الاعجاز الاستحالة وإنما عجز عقولنا عن الوصول إليه.

الأمر الثاني : العلاقة بين العلوم الإنسانية من جهة وهذه الحوادث والعلوم الصرفة من جهة أخرى.

ولعل أهم إيحاءات الاسراء والمعراج على المستوى العلمي والاكاديمي والارتباط بين العلوم الإنسانية والصرفة يمكن إجمالها بما يأتي:

الإيحاء الأول : ابراز ثقافة المنطق العلمي في الاسلام والتي تعد مغيبة ، والتأكيد في التعليم العالي على ما وراء النص والحادثة ، وبشكل بعيد عن السطحية وهذا الأمر يخدم البحث العلمي بكل أشكاله.

الإيحاء الثاني : فتح الباب امام جميع الباحثين في الجامعات وفي جميع الاختصاصات بدراسة الكيفية العلمية للإسراء والمعراج بدل دراستها من الغرب الرافضين للإعجاز، لا سيما وإن العلوم الانسانية معنية بالموضوع وبما يساهم برسم الاطار العلمي بعد التعاون مع العلوم الصرفة .

وما يدفعنا لذلك هو أن البعض من ارباب العلوم الغربية يطرح إشكالات قابلة للمناقشة دون أن يتصدى لها المتخصص بالعلوم الصرفة وهو ما نحتاجه اليوم كثيرا" ، وتلك الاشكالات تجمع بامور تتعلق بكيفية الانفلات من قوة الجاذبية الأرضية ، وخلو الفضاء الخارجي من الهواء ، الذي هو القوام في حياة الإنسان ، والحرارة الشديدة الحارقة والبرودة القاتلة ، وذلك بحسب موقع الإنسان في الفضاء من الشمس ، وأيضا"خطر الإشعاعات الفضائية القاتلة كالأشعة الكونية والأشعة ما وراء البنفسجية وأشعة إكس ، وكذلك مشكلة فقدان الوزن التي يتعرض لها الإنسان في الفضاء الخارجي ، و مشكلة الزمان ، حيث تؤكد علوم اليوم على أنه
ليست هناك وسيلة تسير أسرع من سرعة الضوء ، والذي يريد أن يجول في سماوات الفضاء الخارجي يحتاج إلى سرعة تكون أسرع من سرعة الضوء.[٤٤]

[٤٤] الشيخ ناصر مكارم ،الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - ج ٨ - ص ٣٩٣ – ٣٩٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد أجيب بالإجمال على هذه الإشكالات بأنه في عصرنا الحاضر ، وبعد أن أصبحت الرحلات الفضائية بالاستفادة من معطيات العلوم أمرا عاديا ، فإن خمسا من المشاكل الست الأنفة تنتفي ، وتبقى - فقط - مشكلة الزمن . وهذه المشكلة تثار فقط عند الحديث عن المناطق الفضائية البعيدة جدا والمعراج لم يكن حدثا عاديا ، بل أمر إعجازي خارق للعادة ثم بالقدرة الإلهية . وكذلك الحال في كافة معجزات الأنبياء وهذا يعني عدم استحالة المعجزة عقلا".[٤٥]

ونود أن نوضح هنا أن أمر الزمن لا يعني الخروج على النواميس الطبيعية والعلمية وإنما هو دلالة على عجز علوم العصر عن مواكبة هذه الجزئية مثلما واكبت الجزئيات الاخرى فالعلم يثبت في كل يوم جهله بالكثير من نواميس الطبيعة التي تحتاج بحث وإستقصاء كبيرين.

الإيحاء الثالث : تشخيص سبب توجه اقسام التأريخ الاسلامي في الجامعات الإسلامية للتأكيد على صور علمية هي في الاساس خارج الاختصاص والسبب بلا شك لتقصير الاخرين في طرحها مما يجعل دراستها بعد التنسيق معهم امر خارج حدود الاختيار.

الإيحاء الرابع : بيان الحاجة الى توصية المعنيين في المناهج على اضافة حادثة الاسراء والمعراج بشكل رسمي لمناهج ارباب الفيزياء والجغرافية والهندسة وغيرها من العلوم الصرفة إسوة بالعلوم الإنسانية بحثا" عن التكامل في الطرح.

الايحاء الخامس : ضرورة أبراز دور الجامعات في الرد على الدعوات الظلامية التي تسيء لشخص ومقام الرسول صلى الله عليه واله وسلم وذلك بإظهار صورته صلى الله عليه واله وسلم التي طرحت في الإسراء والمعراج وكيف صلى بالملائكة والأنبياء، قال تعالى(والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى)[٤٦]

الايحاء السادس : ان الحادثة ضربة للعلوم الغربية وعجزها عن الاتيان بما أكدته الحادثة من صور علمية اذ ان امر الاسراء والمعراج لا يعني في اعجازه انه خارج عن النواميس وانما يؤكد عجز علوم العصر عن الوصول اليه.

الايحاء السابع : أن الحادثة تأكيد لمعجزات علمية اخرى حدثت مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهي تحتاج تخريج علمي.[٤٧]

---

[٤٥] الشيخ ناصر مكارم ،الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - ج ٨ - ص ٣٩٨.

[٤٦] النجم : ١-٩ .

[٤٧] ينظر ابن ابي شيبة ، المصنف – ج٧ –ص ٤٢٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التوصيات

١- تشكيل لجان مشتركة من اقسام التاريخ الاسلامي والأقسام والكليات العلمية بمتابعة المواقف والصور التي عكسها الرسول صلى الله عليه واله وسلم ذات المفهوم المتوافق والمتميز من علوم العصر بما يجمع العلوم الإنسانية والمعرفة.

٢- حث الجامعات على تقديم رؤى مستقبلية للأحداث والوقائع بالاعتماد على الصور الخفية التي تعكسها الحوادث قيد الدراسة مثل الاسراء والمعراج.

٣- توجيه وحث الاقسام العلمية المعرفة بالاستشهاد على الاقل بصور علمية للرسول صلى الله عليه واله وسلم بنفس الكيفية التي يتم الاستشهاد بها بأناس ليس لهم من الاسر الا انهم من الغرب، على الرغم من السبق الزمني.

٤- توجيه وحث ارباب العلوم المعرفة بطلب المؤلفات الانسانية التي تحوي هذه المواقف العلمية للتحقق منها.

٥- تقديم المساعدة والدعم المادي والمعنوي لطباعة المؤلفات التي تصدر بهذا الخصوص من الباحثين وهو الامر الذي يشكل عائق كبير في إنجاز الجامعات نفسها فضلا" عن الباحث.

٦- الدعوة لعقد مؤتمر علمي دولي باسم الجامعة يتناول الإيحاءات العلمية الخفية في الحوادث التي ذكرتها المصادر عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم على غرار المؤتمرات الغربية التي عقدت لنفس الغرض.

قائمة المصادر والمراجع

- القران الكريم

ابن حجر ،الحافظ شهاب الدين العسقلاني ت ٨٥٢هـ
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، ط٢ ، بيروت ،د.ت.

الحطاب الرعيني، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي ت ٩٥٤ هـ
- مواهب الجليل ، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات ، ط١ ، بيروت ١٩٩٥

الذهبي : ابو عبدالله محمد بن احمد ت ٧٤٨ هـ.
- تاريخ الإسلام، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، مطبعة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م.

الرازي ،الفخر الرازي ت ٦٠٦هـ
- تفسير الرازي ، ط٣، د.ت، د.م.

ابن أبي زمنين ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله ٣٩٩هـ
- تفسير ابن زمنين ، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز ،الطبعة : الأولى مطبعة الفاروق، القاهرة ١٤٢٣ - ٢٠٠٢م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السمرقندي ،أبو اللّيث السمرقندي٣٨٣ هـ
- تفسير السمرقندي ،تحقيق : د.محمود مطرجي
- ،دار الفكر ، بيروت ، د.ت.

الشيخ ناصر مكارم شيرازي
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، بيروت ،د،ت.

الشنقيطي ت ١٣٩٣
- أضواء البيان ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات. دار الفكر ، بيروت ١٤١٥ ـ ١٩٩٥م

ابن ابي شيبة : عبدالله بن محمد ت (٢٣٥ هـ) .
- مصنف ابن ابي شيبة في الاحاديث والاثار ، تحقيق سعيد محمد اللحام ، ط١ ، بيروت ١٤٠٩ .

العاملي : جعفر مرتضى
- الصحيح من سيرة النبي الاعظم (ص) ، ط٤ ، بيروت ، ١٤١٥ .

ابن عبد البر : أبي عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد النمري (ت ٤٦٣هـ)
- الدرر في اختصار المغازي والسير ، د.ت ، د.م.

العيني : بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد بن موسى الحنفي (ت ٨٥٥هـ).
- عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، مطبعة بيروت، لبنان، د.ت

ابن كثير ، الحافظ ابي الفداء الدمشقي ت٧٧٤هـ
- تفسير ابن كثير تحقيق و تقديم : يوسف عبد الرحمن المرعشلي ،دار المعرفة، الطبع بيروت ١٤١٢ ـ ١٩٩٢ م.

ـ البداية والنهاية ،بيروت ، ١٩٧٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner